كنيسة مارجرجس باسبورتنج





مثل الابنين

القمص

لوقا سيدراوس

كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس
باسبورتنج

مثل الابنين

القمص
لوقا سيداروس



صاحب القداسة

البابا شنوده الثالث

مثل الابنين

(مت ٢١ : ٢٨-٣٢)

ماذا تظنون ، كان لانسان ابنان فجاء إلى الأول وقال ياإبنى اذهب إعمل فى كرمى .. فاجاب وقال ماأريد . ولكنه ندم أخيراً ومضى .

وجاء إلى الثانى وقال كذلك فأجاب وقال ها أنا ياسيد ولم يمض .

فأى الاثنين عمل إراده الآب . قالوا له الأول . قال لهم يسوع الحق أقول لكم إن العشارين والزوانى يسبقونكم إلى ملكوت الله . لان يوحنا جاءكم فى طريق الحق فلم تؤمنوا به ، وأما العشارون والزوانى فآمنوا به وأنتم لم تندموا أخيراً لتؤمنوا به .

وجه الرب حديثه فى هذا المثل لرؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ، وهو يعلم فى الهيكل يوم الاثنين الذى تلى دخوله الانتصارى إلى اورشليم يوم أحد الشعانين ، أى ان هذا المثل يعتبر باكورة تعليم آلامه المحييه .

وكان رؤساء الكهنة والشيوخ قد سألوه قائلين بأى سلطان تفعل هذا ومن اعطاك هذا السلطان إذ رأوه قد طهر الهيكل طارداً باعة الحمام وقالباً موائد الصيارف ، قائلاً إن بيتى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة للصوص ، ولم يدع أحد يجتاز الهيكل بمتاع ، وكان هذا العمل توطئه لارجاع الهيكل إلى وضعه الاصيل ، هيكل الرب ، موضع مسكن مجده ، كان الرب مزمعاً ان يطهر ويقدس كنيسته ، لتكون مقدسه وبلاعيب ولاغضن ، ولاشئ مثل ذلك ولم يكن سؤال رؤساء الكهنة هكذا بريئا بقصد المعرفة من جهة سلطان المسيح ومن اعطاه هذا السلطان لان الامر الذى صنعه الرب لم يكن لانسان كائن من كان ان يعمله . إذ لم يكن تخليص الهيكل من كل ماعلق به من ادران الخطايا ، واستفحل فيه من تجار الدين ومحبى المال ، والمستفيدين ، والسراق ومستغلى بساطة البسطاء والسذج من الشعب ، والدجالين ، وكل اصناف الرذائل المنظورة وغير المنظورة ، عصابات خلف عصابات ، وقد تمركز عمل الشيطان داخل الهيكل لتزييف العبادة وتضليل النفوس ..

استطاع الرب بقدرة عجيبة ،في وقت دخوله محاطاً بتسابيح الاطفال والرضعان حسب قول المزمور ، داخلاً إلى مملكة مجده لتقييم كلامه الذى تكلم به نعم انبيائه منذ الدهور ، يقيم خيمة داود ، ويحيى ردمها ويقيمها ثانية ، والناس تصرخ مباركة مملكة ابينا داود ، مبارك الآتى باسم الرب ، أوصنا ، أوصنا .

هل يخفى هذا السلطان الذى استعلن بكل جلاء ووضوح ، حتى للاطفال فصرخوا هكذا بالتسبيح ، هل يخفى هذا السلطان على رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ودارسى الناموس ؟ حتى يسألوا المسيح بأى سلطان تفعل هذا ومن اعطاك هذا السلطان ؟ لقد فوض الرب سلطانهم ، وزحزح مكان رئاستهم هكذا فى ساعة من الزمان ..

لقد كان مايجرى بداخل الهيكل ، من تجاره وارتكاب المعاصى حتى صار مغارة لصوص ، كان يجرى تحت بصر وسمع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ، فهل كانوا فاقدى السلطان حتى يرجعوا إلى الهيكل قداسته وإلى الأقداس حرمتها ؟ أم كانوا شركاء مستفيدين ؟ وكان مايجرى ويدور يرجع عليهم بفائدة على نوع ما ؟ .

على هذا لم يرد الرب سؤال رؤساء الكهنة بل بادرهم بسؤال أوقعهم فى الحيرة والارتباك . لأن الرب علم افكارهم ، إذ ليس شئ مستور بل كل شئ عريان ومكشوف أمام عينيه .. كان الرب يرى صورة الهيكل المادى وماجرى بداخله ، بصورة افظع داخل قلوبهم إذ يشهد الروح عنهم انهم كانوا محبين للمال !! .

وكأن التاريخ يعيد نفسه حقيقة .. أليس هذه هى الصورة بعينها التى أراها الرب لحزقيال النبى حينما اجتمع إليه شيوخ بنى اسرائيل ، فاراه الرب ثقبا فى الحائط وكشف له اسرار قلوبهم وإذ هم يعطون الرب القفا لا الوجـه ، فهم فى الهيكل ولكن يعبدون آلهه غريبة ونساءهم وأولادهم كذلك ، بل ان الرب اعلن لحزقيال النبى مايفكر فيه هؤلاء كل واحد فى مخادع تصاويره ، وإذا هى صور دبابات وحيوان نجس وكل اصنام بيت اسرائيل ، وقال له أرأيت ياابن آدم ماهم عاملون الرجاسات العظيمة .. وبعد تعود تنظر رجاسات اعظم (ثم قال لى أرأيت ياابن آدم ماتفعله شيوخ بيت اسرائيل فى الظلام كل

واحد فى مخادع تصاويره . لأنهم يقولون الرب لايرانا) « حز ٨ » .

ذات الصورة انكشفت فى القديم أمام حزقيال النبى بروح الرب ، فكم بالحرى أمام الرب نفسه ؟ . ترى أى آلام كانت تجوز فى نفس الرب !! وهو يرى ويسمع ويعرف اعماق الذين كانوا يسألونه ، هكذا شهد يوحنا الانجيلى « انه لم يكن محتاجا أن يشهد أحد عن الانسان لانه علم ماكان فى الانسان » (يو ٢ :٢٥) .

اجابة الرب : والعجيب حقاً ان اجابة الرب على رؤساء الكهنة جاءت على شكل سؤال ، ويبدو لأول وهلة ان الرب يسألهم عن موضوع آخر خارجاً عن سؤالهم .

ولكن الحقيقة ان الرب كان يسألهم فى ذات الموضوع ، موضوع السلطان ، ومن اعطى السلطان .. لقد ارجع الرب أمام عيونهم ايقونة شاهده الامين يوحنا المعمدان ملاك العهد الذى ارسله امامه ليهئ الطريق قدامه ، صوت الصارخ فى البرية اعدوا طريق الرب قوموا سبله مستقيمة ، أما هؤلاء فلم تروق لهم الطريق

المستقيمة ، احبوا الاعوجاج ، احبوا الارتداد ، لم يقبلوا صوته ، بل رفضوا مشورة الله من جهة انفسهم غير معتمدين من يوحنا المعمدان .

سلطان التطهير ذاته اعطاه الرب ليوحنا ، ليعمد بالماء المتوبة ويهئ للرب شعباً مستعداً ، يطهر الهيكل الخارجى بالماء للتوبة وقال انا اعمدكم بماء التوبة ولكن يأتى بعدى من هو أقوى منى .. يعمدكم بالروح القدس ونار ، ينقى بيدره ويطهر هيكله بنار التمحيص ، بنار الروح القدس .

قال لهم الرب لماذا لم تقبلوا ؟

لماذا انتم مصرون على الرفض ؟

معمودية يوحنا ، وسلطان التطهير من الله كان أم من الناس ؟

فلم يريدوا ان يجاوبوا الرب ، أبوا ان يميلوا اذنهم ، حتى لصوت الرب الحنون . وهو يكلمهم بمثل ، بكلام مستور ، كمن يضع امامهم آخر فرص التوبة والخلاص .

ماذا تظنون ؟ احكموا انتم ، تفكروا بفهم فى تصرف العشارين والخطاه عندما سمعوا صوت الروح صارخا فى يوحنا المعمدان توبوا لأنه قد اقترب ملكوت الله ، وان الفأس قد وضع على اصل الشجر وان كل شجرة لا تضع ثمراً تقطع وتلقى فى النار . كيف استجابوا بتلقائية وايمان كيف خرجوا إليه مقرين ومعترفين بخطاياهم معتمدين منه وكان هو يعمدهم بماء التوبة توطئة لمعمودية الروح القدس بالمسيح يسوع .

على النقيض تماما كان الكتبة والفريسيون ومعلموا الناموس ، المؤتمنين على الناموس والكتب المقدسة وحراس الايمان والعقيدة ومفسرى الشريعة لعوام الناس لما سمعوا صوت الروح فى يوحنا لم يتحركوا للايمان ولا استجابوا لهاتف التوبة وتـغـير الحـياة .

هذا هو المسلك الذى مثله الرب بهذا المثل قائلا : ماذا تظنون كان لانسان ابنان ، فقال للأول اذهب اعمل اليوم فى كرمى فقال ماأريد ثم عاد فندم ، فذهب واطاع واكمل مشيئة الآب ، هؤلاء هم الخطاه والعشارون والزناه

عندما خضعوا لنخس الضمير وتبكيت الروح وبعد ان كانوا رافضين الكلمة وغير خاضعين بالقلوب والآذان عادوا يستجيبوا بكل القلب والفكر .

بينما نجد ان الذين اطاعوا أولاً بحسب الظاهر مظهرين بالكلام فقط الخضوع والقبول ، لم يتمموا مطالب الآب ولاذهبوا للعمل بل اكتفوا ان يكرموا السيد بالشفاه وحسن الألفاظ ، أما القلب فمبتعد عنه بعيداً .

+ ياابنى اعمل اليوم في كرمي .

هذا هو مطلب الآب وهذا هو صلب أمره وغاية وصاياه ، ان يعمل الانسان فى كرم الرب اليوم فيثمر لحساب ملكوته ثمراً لا كلاماً ، لأن الكلام لايغنى من فقر ولايشبع من جوع .

كثيرون تقربوا للرب بكلام الشفاه وحلو اللسان ، ولكن لم يكرموا الرب بالقلب ولا بالحياة ، ولم تشهد اعمالهم للنعمة لا من قريب ولا من بعيد ، عن هؤلاء قال الرب بفم ارميا النبى « هذا الشعب يكرمنى بشفتيه أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً » .

وقد أوصانا القديس يوحنا الحبيب : « ياأولادى لانحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق » (١يو ٣ : ١٨) .

بل ان الحقيقة التى لاتقبل الشك ان الانسان يحاسب أمام الله حسبما يكون عمله لا كلامه . لأن النار ستمتحن عمل كل واحد ، وسيعطى الرب لكل واحد جزاء ماقدمه من اعمال خيراً كان أم شراً على هذا طلب الرب قائلا اذهب اعمل اليوم فى كرمى .

ونستطيع ان نصغى إلى هذا الصوت ، متكلما فى الأذن والقلب كل صباح كأنه نداء متجدد دائماً لكل واحد على انفراد ، من فم الآب كرغبة مسرته ان نظهر حبه ونكمل ارادته .

اعمل فى كرمى :

كرم الرب هو كنيسته ، غرس لذته ، الذى غرسه لنفسه

كرم رب الجنود هو بيت اسرائيل ورجال يهوذا هم غرس لذته .

احكموا بينى وبين كرمى .. ماذا يصنع الكـــرمى وأنا لم افعلـه ؟

ودعوه الرب وطلبه الى ابنيه .. هى دعوة العمل فى كـرم الرب ، أى دعوة للعمل الروحى لحساب المسيح ، في التفليح أو التقضيب أو التنقية أو الحصاد ، لان الحصاد كثير والفعلة قليلون وهو الذى يرسل الفعله إلى حصاده ، ويريد أن يأتوا بثمر كثير ويدوم ثمرهم ، وهذه الكرمة قيل عنها غنوا للكرمة المشتهاه انا الرب حارسها اسقيها كل لحظة لئلا يوقع أحد بها .

إذن هو العامل ، يحرسها ويسقيها ، يصلحها ويثبتها . أما من نحن وعملنا وجهدنا إن غرسنا أو سقينا فمعروف انه ليس الغارس شيئا ولا الساقى شيئا بل الله الذى ينمى .

ندم أخيراً :

العبرة دائما بالنهايات ، لأن كثيرون بدأوا بالروح ولكن اكملوا بالجسد وهؤلاء العشارون والخطاة ندموا أخيراً ، وقادهم الندم إلى الرجوع ، ليعملوا مسرة الله ويطيعوا

مشيئته الصالحة ، بينما الذين قالوا هاأنذا أولاً رفضوا مشورة الله من جهة انفسهم غير معتمدين ، ولاتائبين ولا راجعين بندم .

ولكنه ندم أخيراً

لقد مدح السيد الرب هذا المسلك الحكيم الذى للابن ماأطاع ابيه أولاً ، ورفض صوته ونداء حبه ، وعاش بهــواه وارادته الذاتــية ، ثم إذ رجع إلى نفسه ، ندم أخيراً ، وذهب يعمل ارادة الآب ويكمل مسرة مشيئته .

ماذا نسمى هذا السلوك غير التوبة وفعل الرجوع إلى الله التى تفرح قلب الله فعلاً بل تفرح بها السماء كلها إذ يكون فرح فى السماء بخاطئ واحد يتوب .

ألم يسر الرب بالأبن الضال إذ رجع نادماً رافضا فى التراب صارخاً « ياأبى اخطأت إلى السماء وقدامك ، ولست مستحقا بعد ان أدعى لك إبناً . اجعلنى كأحد اجرائك » (لو ١٥:١٨ ، ١٩) .

وماذا كان سرور الآب وكلمات الحب المعبرة .. ينبغى لنا ان نفرح ونسر لان ابنى هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجدناه .

ألم يقل الرب بفم نبيه حزقيال هذا الكلام بعينه « إذا قلت للشرير موتا تموت فإن رجع عن خطيئته وعمل بالعدل والحق وان رد الشرير الرهن وعوض عن المغتصب وسلك فى فرائض الحياة بلا عمل أثم فانه حياة يحيا لايموت » (حز ٣٣:١٤ ، ١٥) .

وعلى النقيض إن لم يكمل البار حياته فى البر بل اتكل على كونه بار واستهتر وحاد عن الطريق فان بر البار لاينجيه فى يوم معصيته وبره لايذكر بل بأثمه الذى فعله يموت .

العبرة إذن كيف تنتهى سيرة الانسان وكيف تكون النهاية فإن كان العشارون والخطاه سلكوا قبلاً فى اهواء الهوان متسكعين فى اركان العالم ولكنهم ماأن سمعوا كلمة الحياة وصوت الحق الإلهى حتى لانت قلوبهم

وخرجوا تحت نير التبكيت يطلبون الخلاص ويوفون مطالب الروح معتمدين من يوحنا المعمدان .

وعلى العكس تماماً كان مسلك الفريسيين ، إذ رفضوا مشورة الله من جهة انفسهم .

حقا قال لهم الرب ان العشارين والزوانى يسبقونكم إلى ملكوت الله التوبة إذن وفعل الندامة - حتى لو جاء مؤخراً - فهى ممدوحة من الله مكرمة عند جميع القديسين .

+ هانذا ياسيد

هكذا جاوب الابن الآخر ابيه ، عبارة الطاعة والخضوع للأمر ، كلام اللسان ونطق الشفاه . ولكنه لم يمض ، لم يعمل ولانفذ مشيئة الاب .

هى إذن كلمات غاشة ، إكرام باللسان ، وحلو الكلام ، هى عبادة من يقول يارب يارب .

ومن يكرم الرب بشفتيه

ومن يحب باللسان والكلام

ومن يكثر الكلام باطلاً

ومن يتكلم بكلام ملق

مثل ماقال المزمور عن يهوذا الخائن ، كلامه إلين من الدهن وهو تصال فكلامه لين منمق .

ماأكثر الكلام ، ولكن هل يحرك الكلام قشه من على الأرض ؟

ان كان اخ أو اخت عريانين معتازين للقوت اليومى فقال لهما احدكم امضيا بسلام استدفئا واشبعا ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد فما المنفعة ؟

هكذا كتب معلمنا يعقوب الرسول .

كيف يتجاوب الانسان مع مشيئة الله ، وإلى أى مدى يستطيع ان يحقق مشيئته ويكمل مسرته ، هذا هو السؤال .

الموضوع ليس ان ينطق الانسان أمام الله بعض كلمات الاتضاع والمسكنة أو بعض عبارات الطاعة والخضوع ، أو بعض ألفاظ التوبة والرجوع ، ثم لايفعل

شئ يرضى صلاحه ولايعمل فى كرمه ويثمر لحسابه ولاغير سلوكه ورجع عن شروره ، هذه عبادة غاشة فيها يغش الانسان نفسه ويخدع قلبه ولاينال رضى ولا رحمة من قبل الله .

هيا بنا ننهى زمن العصيان ، ونكسر نير العالم ونحنى رأسنا للطاعة للآب السماوى بالعمل والحق .

هيا بنا نندم ونرجع ونذهب لنعمل ونفلح نتعب لحساب الملكوت ونجد فى العمل الروحى الذى يفرح قلب الله .

العشارون والخطاه اغتصبوا الملكوت والزناة صاروا بالتوبة بتوليين إذ رجعوا إلى الرب من كل قلوبهم .

والمعتبرين ابراراً ولهم صورة التقوى صاروا ينكرون قوتها فاغلق الملكوت دونهم ولم يستفيدوا شيئاً من معرفتهم العقلانية التى ظنوها أنها معرفة روحية ولم ينتفعوا شيئا من تتميم الفرائض والتدقيق الفريسى إذ لم يكن مسنودا بالاتضاع بل كان متشامخاً فى كبرياء ولكن الله لايشمخ عليه .

هيا ننضم إلى صفوف المستجيبين للصوت الصارخ فى البرية اعدوا طريق الرب قوموا سبله مستقيمة ، فنحيا فى الاستقامة ونسلك فى مخافة الله .

وكفانا مظهر الطاعة والأدب الخارجى وحلو الكلام وعباده اللسان لان الله روح والذين يسجدون له بالروح والحق ينبغى ان يسجدوا بل إن الله طالب مثل هؤلاء الساجدين .

لقد نبه الرب قديما حزقيال النبى إلى مسلك امثال المتكلمين بالناعمات ، يقولون هانذا ياسيد بنطق الشفاه أما قلبهم فذاهب بعيد وراء كسبهم ، قال الرب لحزقيال :

« ويأتون إليك كما يأتى الشعب ، ويجلسون أمامك كشعبى ويسمعون كلامك ولايعملون به لانهم بأفواههم يظهرون اشواقا وقلبهم ذاهب وراء كسبهم ، وها أنت كشعر اشواق لجميل الصوت يحسن العزف فيسمعون كلامك ولايعملون به » (حز٣٣ : ٣١-٣٢) .

فهم يأتون ، ويجلسون أمام حزقيال ، ويسـمعون كلامه ، كشعبى ولكنهم ليسوا شعبى ، هو نوع من التزييف والتمثيل ، والظهور بمظهر أولاد الله ولكن هذا الخداع الخارجى لايدوم ولايثبت بل سريعاً ماينكشف ، والمواقف العملية والتجارب تجعلهم يرتدون سريعاً .

ومن ناحية الكلام فانهم يظهرون بأفواههم فقط أما قلبهم فذاهب وراء كسبهم ، انها مجرد اشواق كلام وزخارف اللسان بلا عمل .

قيل عن يهوذا الخائن ، كلامه ألين من الدهن وهو نصال .

وقال الرب للفريسيين ، كيف تقدرون ان تتكلموا بالصالحات وأنتم اشرار ، إنه نوع من الرياء الخطير .

ولكن لمن قال الابن ، هانذا ياسيد ، وأمام من هو يجاوب

أليس أمام فاحص القلوب ومختبر الكلى ؟

انه يغش نفسه فقط ويخدع قلبه وحده .

من يظن فيكم انه شئ وهو ليس شيئا فانه يضر نفسه .

مطبعة دير البرموس


مطبعة دير البراموس
Bibliotheca Alexandrina
0308518
954
81